دراسة تأثير العوامل القرآنية في التأريخ

الأستاذ المساعد الدكتور سيد محمد نقيب
عضو هيئة التدريس ورئيس جامعة علوم و معارف القرآن الكريم بقم المقدسة ـ إيران
amin200057@yahoo.com
طالبة الدكتوراه فاطمة رضايي
فرع التفسير التطبيقي ـ جامعة علوم ومعارف القرآن الكريم بقم المقدسة ـ إيران
f.rezaei8313@gmail.com

Study of Components of the Influence of the Qur'an on History

Seyyed Mohammad Naghi
Assistant Professor , and University President the University of Sciences and knowledge of Quran , Qom
Fatemeh Rezaei
PhD candidate of Comparative Exegesis, University of Sciences and Teachings of the Holy Qur'an, Qom

الملخص:

التعرف على التاريخ ذو أهمية بالغة في القرآن الكريم، إلى درجة أن الله يأمر رسوله ببيان عاقبة الأمم السابقة للناس ولأولي الألباب والأبصار. والهدف من القصص القرآنية ليس هو مجرد سرد القصص، بل في كل موقف يبين تعليمات أو مواعظ وحكم أو سنن إلهية. وهذه الدراسة بحثت عن دور القرآن في التطورات التاريخية على أساس منهج التحليل الوصفي الذي يقوم بعرض النظريات على القرآن ليتوصّل إلى نتائج من منظور القرآن. ونشير في هذه المقالة إلى تأثير القرآن في التاريخ ورؤية القرآن تجاه العوامل المؤثرة في التاريخ. وأضف إلى ذلك أن القرآن يصحّح التاريخ أيضاً وهو كتاب نزل بالحق، فيمكن لنا تمييز صحة كثير من الأحداث التاريخية بواسطة عرضها على القرآن؛ فالقرآن الكريم يعتبر صانع التاريخ بتبيينه للسنن الحاكمة على المجتمعات وبذكره للنبوءات.

الكلمات المفتاحية: الحركة التطورية للتاريخ، العوامل المؤثرة في التأريخ، تصحيح التأريخ، السنن الإلهية الحاكمة على التأريخ، أخبار القرآن الغيبية.

Abstract:-

The historical indications and teachings of the Qur'an encourage us to pay attention to history and the impact of history. According to the Qur'an, getting history in hand is so important that God commands His Prophet (PBUH) to narrate the story of the ancestors to the people and men of thought and understanding. The purpose of Qur'anic stories is not merely story-telling, rather in any case, it expresses notable teachings, a preach and wisdom, or a divine tradition. In this research, based on descriptive-analytical method and library documents, the role of the Qur'an in historical developments is discussed. It includes: the importance of history from the Qur'an's viewpoint, the influence of the Qur'an on history, the Qur'an's opinion on the motive factors of history, the fact that the Qur'an is the reformer of history, and that the Qur'an is a history-maker. The Qur'an reforms history means that since it recognizes the truth, the accuracy of many historical events could be evaluated by the criterion of the Qur'an. And the Qur'an is a history-maker means that it is also considered as a history-maker by expressing the traditions dominated human societies, as well as through mentioning the prophecies and unseen news.

Keywords: the evolutionary movement of histor , the motive factors of history, the reformation of history, the dominated traditions of history, the unseen news of the Qur'an.

المقدمة:

قد جاء في بعض الروايات أن ربع الآيات يحتوي السنن وأخبار المتقدمين والمتأخرين. قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: نزل القرآن أثلاثاً: ثُلثٌ فينا وفي عدوِّنا وثُلثٌ سننٌ وأمثالٌ وثُلثٌ فرائض وأحكامٌ. (الكليني،١٤٠٧هـ:٢-٦٢٧)وفي رواية متشابهة أخرى، قال الإمام الصّادق عليه السلام: ((عن أبي عبدالله عليه السلام انَّ القرآنَ نَزلَ اربعهَ ارباعٍ: ربع حلال وربع حرام وربع سنن واحكام وربع خبر ما كان قبلكم ونباء ما يكون بعدكم وفصل ما بينكم)). (الكليني،-١٤٠٧هـ: ٦٢٧/٢) والقرآن يدعو الناس إلى السير في الأرض والتعرف على عاقبة الماضين والكشف عن السنن الإلهية؛ ما يدل على أهمية التاريخ وضرورة الكشف عن السنن. وأما السؤال الرئيس لهذه الدراسة: ما هو دور القرآن في فلسفة التاريخ وتكوينه؟

خلفية البحث: ثمة دراسات عديدة حول العوامل المؤثرة التاريخية على القرآن الكريم والتوافق بين التاريخ والقرآن؛ لكننا في هذا البحث نتحدث عن تأثير القرآن ودوره في التطورات التاريخية.

هناك كتب تاريخية قد كتِبت من منظور القرآن الكريم مثل الكتب الثلاثة لعزة الله رادمنش، المدارس التاريخية والتجديد في التاريخ، والأساليب العنصرية للتاريخ والتاريخ في القرآن. وآية الله يعقوب أيضا جعل قسماً مستقلاً في هذا الموضوع في كتابيه تاريخ الإسلام من منظور القرآن والرؤية التاريخية للقرآن. ويمكن القول بإن الباحثين الذين قاموا بدراسة السنن التاريخية، بطريقة تحدثوا عن دور القرآن في التاريخ، مثل اية الله السبحاني في فلسفة التاريخ، وآية الله مصباح يزدي في المجتمع والتاريخ من منظور القرآن، ومقالة الدكتور محمد عليبور ((دراسة أساليب ومناهج المعرفة التاريخية في القرآن الكريم)) (معتمدا على تاريخ النّبي صلى الله عليه وآله في القرآن) ومقالة الدكتور دانش كيا ((دور الله في التاريخ من منظور القرآن الكريم)) وأشار فيها إلى المباحث الكلامية والاعتقادية لهذا الموضوع.

١- تعريف التاريخ:

بعض علماء اللغة كالجواليقي يرون أن ((التاريخ)) ليس عربياً. (الجواليقي، د.ت:٣٩) وقال البعض كالجوهري هو من جذر ((الأرخ)) (بكسر الراء وفتح الهمزة).

(الجوهري١٤٠٧هـ:١/٢٠٠). والصولي يشير إلى استخدام هذه الكلمة بين تميم وقيس (الصولي، د.ت: ١٨٠) وهذا يدل على أن التاريخ مفردة عربية وليست معرّبة من ((ماه روز)) الفارسية كما قال به حمزة الأصفهاني وأبو ريحان البيروني(الأصفهاني،١٣٤٠هـ: ٨؛ البيروني، د.ت:٢٩و٣٠). وكون لفظ ((التاريخ)) أصيلا في اللغة العربية هو الأقرب إلى الصواب؛ كما يعتقد الدكتور على جواد المؤرخ العرب أن التاريخ بمعني تحديد الوقت كان معروفا بين العرب قبل الإسلام والمفردات ((وَرَّخَ، أرَّخَ و توريخ)) كانت تُستخدم في العربية. (جوادعلي،١٤١٣: ٨/٥١١). مفردة التاريخ تعني في اللغة: "وَلَد البقرة الوحشية"؛ ووجه الشبه بين التاريخ وبين ولد البقر هو الحدوث، لأن التاريخ شيء حادث كما يحدث الولد حين ولادته. (ابن‌منظور،٣:١٤٠٥/٤).

وقد وردت معان متعددة للتاريخ ومن بينها "إعلام بالوقت"؛ "التعرف على زمان حدث بالنسبة لمبدأ يدل على حدث عظيم"؛ "فترة محدّدة بين الحدثين"؛ "نهاية وغاية شيء ووقت عمل"؛ و.... وكاتب المقالة يختار تعريف التاريخ من رؤية الشهيد مرتضي المطهري، هو يعتقد يمكن تعريف التاريخ على ثلاثة وجوه: ١-التاريخ النقلي: على أساس العلم بالأحداث والوقائع إلى الزمان الحاضر التي نستطيع الحكم عليها؛ ٢- التاريخ العلمي: على أساس العلم بالقواعد والسنن الحاكمة على حياة السابقين وهذه القواعد تُحصل من خلال الدراسة في الأحداث والوقائع السابقة. ٣-تعريف التاريخ على أساس فلسفة التاريخ: يعني العلم بتطورات المجتمع من مرحلة إلى مرحلة أخرى والقوانين الحاكمة عليها أو بعبارة أخرى العلم بتكامل المجتمع من مرحلة إلى مرحلة أخرى. التاريخ في التعريفات الثلاثة مفيد، لكن القرآن عندما يجعل من الأنبياء أسوة وأنموذج للناس ويقص أخبار الماضين، فلا يقصد بيان أحداث بلا سبب وبلا تحليل خاص؛ بل يقصد التاريخ العلمي وفلسفة التاريخ. (المطهري،١٣٧٤: ٢/ ٣٦٨ و المطهري،١٣٨٧: ٧٠-٧٨)

٢- أهمية التاريخ ومكانته في القرآن الكريم:

القرآن الكريم يدعو دائماً إلى قراءة تاريخ الماضين ويأمر مؤكداً أن سيروا في الأرض لتشاهدوا الآيات التاريخية ولارتفاع مستوي ثقافتكم. ونجد أن أمر القرآن بدراسة الآثار التاريخية ورد بأنحاء مختلفة:

تارة يستخدم الجملة الأمرية مباشرة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ (النمل:٦٢/ الروم:٤٢/ الأنعام:١١/ العنكبوت:٢٠/ آل‌عمران:١٣٧).

وتارة أخرى يستخدم الاستفهام في معني الأمر مع التوبيخ في ترك السير والتفكر في التاريخ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (غافر:٨٢/ يوسف:١٠٩/ الفاطر:٤٣/ الحج:٤٦).

وقد تُؤكد هذه الأوامر مع تعبيرات نحو: ((التعقّل))، ((النظر))، ((لبّ))، ((التَفكّر))، ((الموعظة))، ((العبرة)) و((التذكّر)) على سبيل المثال: ((انْظُرُوا))، ((لَعَلَّهُمْ يَتَفَكّرُونَ))، ((افَلا تَعْقِلُونَ)) و ((لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) و... ليتضح أن التاريخ ليس مقتصراً على طبقة خاصة كالمؤرخين، ورجال السياسة، وعلماء المجتمع بل التفكر التاريخي أمر شامل. (وفا، ١٣٨٢: ٢١)

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في أهمية التاريخ: ((اوليس لكم في آثار الاولين مُزدَجَر وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبرٌ إن كنتم تعقلون! أو لَم تَروَا إلى الماضين منكم لا يرجعون...)) ((واعتبروا بما قد رايتم من مصارع القرون قبلكم: قد تَزايلَت أوصالُهم، وزالت أبصارُهم، وأسماعُهم، وذهب شرفُهم وعزّهم، وانقطع سرورُهم ونعيمُهم...،)) (الشريف الرضي،١٤١٤: ١٤٥/خ٩٩ و١٦١)

٣- سير التاريخ و حركته

٣-١ نظريات حول حركة التاريخ

الفلاسفة على أساس رؤيتهم حول التاريخ جعلوه على قسمين: التاريخ الدوري والتاريخ الخطي. النظرية الدائرية من أقدم النظريات للتاريخ وأول من تحدث عنها هو ثوسيديديس المؤرخ اليوناني، في هذه النظرية لا مبدأ للتاريخ ولا منتهي والمدينة الفاضلة كانت في السابق ولا في المستقبل والإنسان يتّجه نحو الانحدار ومصيره قُدِّر في الكون ومن أهم أصحاب هذه النظرية ابن خلدون، وباريتو، وسوروكين، وشبينغلر. (جمشيديان،١٣٩٠:ش١٦١) في النظرية الخطية كل حدث يونيك (uniqe). أي كل حدث أمر فريد وللتاريخ مبدأ ومنتهي. التفسير الخطي لأول مرة شوهد بين اليهود وبشكل عام بين

الأديان الإلهية، وعلي أساس هذه النظرية، التاريخ ذو مبدا ومنتهي وذو غاية إلهية ومحدّدة. المتكلمون وعلماء الدين يعتقدون أن تحقق الإرادة الإلهية هو المعني الحقيقي للتاريخ. في علم الكلام والعرفان كل دور من أدوار العالم يكون ظهور سلطنة اسم من أسماء الله تعالى وكل ما يحدث يجلّي عن صفة من صفات الله. إذاً من الرؤية الدينية المؤرخ مع تسجيل الأحداث من جهة يتعرف على كيفية تحقق المشيئة الإلهية ومن جهة أخرى يلفت انتباه القارئ إلى وحدة جزئيات الأحداث المتفرقة في ظاهر الأمر بالنسبة للفعل الإلهي. (الكلباسي،١٣٨٥: ٢٠٠).

كانت نظرية الخطية الدينية تسيطر على فلسفة التاريخ النظرية حتى القرن الثامن عشر لكن من هذا القرن فصاعدا ظهرت الفلسفة الخطية العرفية أو فكرة الرقي. وهذا التكامل التاريخي يأتي تحت مصطلح (ديالكتيك)، فان المفكّرين المعاصرين عرفوا أن دراسة تاريخ الحضارة تمكنهم من الحصول على فكرة التقدم أي اتجاه الإنسان نحو الحضارة العليا. وهذه الفلسفة نشأت إثر الفلسفات غير الدينة والخطية التاريخية. على اساس هذه الرؤية، ان الإنسان أصبح صانع التاريخ. وسمّوا العصور السابقة بعصور الظلام و سموا عصرهم الحديث بعصر التنوير والتقدم، ورأوا أن التاريخ يسير سيراً خطياً وتكاملياً، فالتاريخ مع أحداثه وتطوراته يتجه نحو التقدم. فتنبؤوا أحداث تاريخ العالم على أساس خطة كلية وعالمية. (المفتخري،١٣٨٧: ش٦/١٢٢-٥) في الرؤية العلمانية إلى التكامل، يفسَّر كل شيء تحت الأمور الدنيوية والمادية والملموسة. (المطهري،١٣٦٩:١/٢٨-٣٥) وأنصار التكامل التاريخي لا يتفقون في ماهية التكامل وأكثرهم يعتقدون أنه تقدّم العلوم الطبيعية والسيطرة على الطبيعة. أما البعض الآخر يري إن المجتمع الكامل مجتمع تقدّم في الصنعة والتقنية. وفي النظرية الثالثة، التقدم هو السيطرة على المجتمعات والأمم الأخرى. وفي النظرية الرابعة التكامل هو الرفاهة المادية في الصحة والتغذية. وفي رأي آخر المجتمع الكامل هو المجتمع الذي يتوّفر فيه النظام والأمن، والحرية، والعدالة، والمساواة، والأخوة وبعبارة أخرى هو المجتمع الذي له تطلعات سياسية واجتماعية. وهناك فئة قليلة ترى أن التكامل يعني التقدم في الأخلاق والمعنوية وأيضا التقدم في القدرات الحياتية والروحية. (مصباح يزدي، ١٣٦٨: ١٦٣).

الشهيد المطهري يميز التكامل عن التقدم ويعتقد أن كل تكامل تقدّم لكن كل تقدم ليس تكاملاً لأن مفهوم التعالي يكمن في التكامل وله اتجاه عمودي بينما للتقدم اتجاه أفقي. (المطهري،١٣٨٣: ١٥/٢١٥).

التاريخ يتحرك دائماً ولا يتوقف لحظة لأن الإنسان في فطرته يميل إلى التقدم ويكره الوقوف. الاعتقاد بحركة التاريخ يسوقنا إلى نقطة أنّها على أساس قانون السببية كل حركة يحتاج إلى محرك ليبعث الحركة ويعين اتجاهها ويضمن لها البقاء والدوام ويمنع من وقوفها، فمحرك التاريخ كعلة مؤثرة في الحركة إذ رأي انحرافاً في اتجاه الحركة بإمكانه أن يحدث تغييرا فيها.

٢-٣ سير التاريخ وحركته في منظار القرآن الكريم

في الرؤية القرآنية ليست للتاريخ حركة رجعية ولا له حركة دورية. ليست للتاريخ حركة رجعية لأنه لا يعود قهقرياً إلى الوراء، ولا يضعف احتمال الحصول على السعادة، بمضي المجتمع الإنساني؛ لأن القرآن يدعو الناس دائما إلى الحركة نحو الأمام والتسابق إلى الخيرات اللامتناهية: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٤٨)

وأيضا ليست للتاريخ حركة دورية لتسقط حضارة بظهور حضارة أخرى كالحلقات الدائرية، فلا يمكن أن لا يسير التاريخ والمجتمع نحو الغاية والكمال ولا يمكن أن يعود إلى النقطة الأولى التي كان عليها قبل المسار. (المطهري، ١٣٦٩:٩؛ مصباح اليزدي،١٣٧٢: ١٦١) ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (يعني حرام أن يرجعون إلى الدنيا أنهم لا يرجعون). (الأنبياء: ٩٥)

كذلك نقرأ في سورة القصص:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾. (القصص:٥٨)

في رؤية الدين والتعاليم الوحيانية، المجتمع والتاريخ في الاتجاه الخطي - التكاملي وتحت سيطرة القوانين الإلهية يسيران نحو الكمال.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥)

ولو أن في فترة من الزمن جرت أحداثاً سبّبت خللاً في مسار التاريخ وحتي بعض الأحيان جعلت القيم ومعتقدات المجتمع تتأثر منها وأصبح الحق باطلاً والباطل حقا وتخيل

للإنسان أن التاريخ لا يتجّه نحو الكمال، لكن من حيث أن الإرادة الإلهية سيطرت على التاريخ والمجتمعات فمن مشيئته أن يوصل الإنسان والمجتمع والتاريخ إلى نقطة الكمال.

((ليس المقصود من التقدم هو أن يكون دائما مستقبل المجتمعات أفضل من ماضيها، للمجتمعات زوال وسقوط وتراجع وحركة يسارية وحركة يمينية لكن بوجه عام المجتمعات البشرية تتجه اتجاهاً متعالياً)). (المطهري،١٣٨٧: ٢٢٧)

٤- العوامل المحركة للتاريخ:

٤-١ نظريات حول العوامل المحركة للتاريخ:

إحدى الموضوعات الهامة وواسعة النطاق في فلسفة التاريخ هي التعرف على العوامل المحركة للتاريخ التي تحرّكه نحو التطور وفي النهاية نحو الكمال. فلهذا قُدِّمت نظريات عديدة حول محرك التاريخ.

فلاسفة التاريخ ذكروا عشرين عاملاً كمحرك للتاريخ، فمنها: العوامل العنصرية والجغرافية، والبيئة، والإنسان، والسياسة، والقدرة، والإرادة، والعلائق واللذائذ، عدد سكان العالم، والغريزة الجنسية، والأبطال والعباقرة، والاقتصاد، والعلم، والصنعة، والاختراع، وتطوير أدوات الإنتاج، غريزة طلب الكمال والحرص، والفطرة، والدين، والأنبياء، والسمة الإلهية للتاريخ، و... (المطهري،١٣٦٩: ٣٠؛ الجعفري،١٣٧٨: ٣٠)

٤-٢ العوامل المحركة للتاريخ في منظار القرآن:

عندما نقوم بعرض هذه النظريات على القرآن الكريم وندرسها في ضوء الآيات القرآنية والتعاليم الوحيانية، نري بوضوح أنّ في القرآن نظرة ماورائية إلى حركة التاريخ؛ وإن الأمور المادية والإنسانية ليست العامل الوحيد في حركة التاريخ. والقرآن لا يعُدُّ العنصر والقوم والطائفة والعشيرة معياراً للحركة بل جعل التقوي عاملا للاتجاه نحو السعادة. في الرؤية الوحيانية، الأبطال والعباقرة عندما اتخذوا الطريقة الإلهية واتصلوا بعالم الغيب صار بإمكانهم أن يؤثّروا في مسار التاريخ، أشخاص مثل الأنبياء المرسلين، وطالوت، وذي القرنين، و... يدخلون تحت هذا التعريف. القرآن ينظر نظرة إلهية إلى العلم والصنعة والاختراع وأدوات الإنتاج فإنها إذا تُستخدَم للغاية الإلهية تسير نحو الكمال فإنّا لا نتصوّر

لها تأثيرا.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة:٥)

في منظار القرآن لا يعَدّ الاقتصاد معياراً لحركة التاريخ نحو الكمال إلا عندما يتّخذ وسيلة لتحقق الحق والعدالة، وإنما يحرّك التاريخ الذين لايزالون يسعون في نشر العدالة وسوق الإنسان والمجتمع نحو الهداية:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة:٢٠)

ولو لا يمكن إنكار تأثير العوامل المذكورة في حركة التاريخ ودورها في إيجاد تقلبات جزئية في مسارها لكن في رأي القرآن المعيار النهائي لحركة التاريخ هو السير الكلي الذي ينحو نحو الكمال. قال الشهيد المطهري: ((وإن حركة التاريخ بوجه عام حركة تكاملية لكن ليست جبرية يعني ليس بهذا المعنى أن كل مجتمع في كل مرحلة تاريخية يكون أكمل من مرحلته السابقة. نظراً إلى أنّ الإنسان هو العامل الرئيس لهذه الحركة وهو موجود مختار وصاحب الاختيار فالتاريخ يشهد تقلباتاً في اتجاه حركته)). (المطهري،١٣٧٤: ٤٢٩/٢٤)

مع التدبر في الآيات الإلهية وفي ضوء المعارف الوحيانية نصل إلى أن مشيئة الله وإرادته هما محركتان للتاريخ ومن حيث أن مشيئة الله تستوعب مشيئة الإنسان فليس الإنسان والمجتمع تحت السيطرة الجبرية بل بإمكانهم أن يغيروا التاريخ ومجراه.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد:١١)

((القرآن الكريم يشير إلى نقطة تعليمية ممتازة إلى أن الإنسان بواسطة السنن الإلهية الجارية في التاريخ بإمكانه أن يسيء هو نفسه مصيره أو يحسنه)). (المطهري١٣٧٤: ٤١٠/٢٤)

في جهة تحقيق الإرادة الإلهية يعَدّ القرآن والأنبياء من العوامل المحركة الأخرى للتاريخ لأن الأنبياء والقرآن جاؤوا لهداية الناس.

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد:٩)

٥- موقف القرآن من تحول التاريخ وتطوره:

قبل نزول القرآن لم يكن يتمتع العرب الجاهلي من المفاهيم التاريخية والمتعالية، بل كانوا مشغولين بالمباهاة بالانتصارات والهزائم والترف السريع الزوال والتعصبات القومية حتى أنهم كانوا يزورون المقابر ويعدّدون عدد أمواتهم للتكاثر والتفاخر، ولم يكن لديم علماً وافراً وموثّقاً من التاريخ وما دار على ألسن الناس بصورة شفوية واشتهر بأيام العرب كان ممتزجاً بالقصص وخرافات اليهود والنصارى أو قصص وتاريخ الأمم السابقة مصحوباً بالتحريف والإضافات غير الحقيقية.

وبسبب علاقة العرب بالأقوام والأديان الأخرى وابتعاد الناس عن الكتب والعلوم المكتوبة المدوّنة لاسيما في مجال التاريخ، شاعت القصص بينهم، وجماعة من القصّاصين قد مارسوا هذا العمل وأحياناً لتحقق أهداف سياسية ومذهبية لحكام قاموا بالتحريف وصنع الأسطورة ونشر الأكاذيب. وسرد القصص قد شاع شيوعاً واسعاً بين الناس وفي بعض المقاطع التاريخية. فكان منصب القصاص منصبا رسميا والخلفاء كما أنّهم كانوا يجعلون للجماعة قاصاً فإنهم كانوا يجعلون للجنود قاصاً أيضاً، لأجل تحريكهم وتشجيعهم على الحماس. (ر.ك. عاملي، الصحيح من سيرة النبي الاعظم: ١٢٨/١) وأحياناً مع كتمان الحقائق أو قلبها، حاولوا أن يتبعوا منهجاً فكرياً ليغيروا بزعمهم الباطل مسار حركة التاريخ نحو أهدافهم، على سبيل المثال كان لمعاوية قاصاً يقوم بواجبه هذا كل ليلة وحين جاء لحرب الإمام الحسن عليه السلام استطحب معه القصاص؛ فكانوا يقصّون للجند في كل يوم وعند كل صلاة. (العاملي، د.ت: ١٢٩/١) وتارة يسعرون نار الفتن والصراعات المذهبية. فلما دخل

عضد الدولة بغدادَ وقد هلك أهلها قتلاً وخوفاً وجوعاً، للفتن التي شبّت فيها بين الشيعة والسنة؛ قال: آفة هذا المجتمع هي القصاصين فمنع قص القصص. (الذهبي،١٤٠٩:٢٧/١٥٣)

والقرآن أحدث تطوراً عميقاً في أسلوب بيان التاريخ من جهة؛ ووسّع فهم الناس التاريخي من جهة أخرى. وغير النظرة الشاعرية والخيالية والأسطورية للتاريخ وأيضاً غير مساره عن خدمة مصالح الحكام و خدمة التمتع والهوايات الواهية؛ فجعله عبرة ومعبّراً عن الحقائق السابقة لتعيين اتجاه المستقبل، وبدّل المفاهيم السافلة بالمفاهيم السامية، وطوّر المعايير والقيم السائدة في المجتمع وأرشد الناس إلى اهداف متعالية.

وأورد القرآن الكريم المفاهيم التالية في الرؤية التاريخية: القتل في سبيل الله، والحياة الطيبة، واحتساب المقتولين في سبيل الله احياء يرزقون عند الله، وإنفاق الأموال والأنفس، والحثّ على الحركة نحو الهدف، والصمود أمام الطاغوت، ورفض الظلم، والعدالة و... وأيضا طوّر القرآن الكريم المجتمع وغير اتجاه التاريخ نحو أهداف إلهية. لم تُعرف من ذي قبل:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ خداوند (١١١توبة)

نظرة القرآن إلى الجهاد والانتصار ليست مقصورة على الانتصارات الظاهرية فحسب؛ بل وانما يعُدّ القرآن الكريم من يقتل أو يقتَل، يعُدّهما كليهما من الفائزين ماداما سائرَين في سبيل الوصول إلى الله فهو الفوز العظيم. والقرآن قد طوّر التاريخ وحركة المجتمع، ومع خطة منتظمة وتدريجية جعل من المجتمع الجاهلي مدينة فاضلة نبوية، وارتقي بالشعب الذي كان في مستوي أقل حضارة وثقافة إلى شعب ذي ثقافة متعالية وذي مجتمع إنساني في أعلي درجاته.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٦)

وهذه الآية تجذب الانتباه إلى مفهوم آخر من مفاهيم تطوير التاريخ وهو التوحيد، والجهاد ضد الطاغوت، والتفكير في عاقبة الأمم الماضية وأخذ العبرة منهم؛ النظرة التي لم تكن في موضع الاهتمام أبداً قبل ظهور الإسلام وبعثة الرسول ونزول القرآن.

٦- القرآن، مصحّح للتاريخ:

٦-١ الواقعية في الأخبار القرآنية:

القرآن كتاب يعتمد منهجاً واقعياً ولم يتحدّث أبداً عن حدثٍ بشكل خيالي لأنه كتاب حكيم. وإذا وجدنا فيه أحيانا الميزات الأسطورية والنموذجية والرمزية والتمثيلية فهذا لا يعني نفي الواقعية. القرآن لا ينفي قص القصص لكن يصرّح ويؤكد على أن كل قصصه حقيقية.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (هود:١٢٠)

القرآن لا يعارض القصص التاريخية، والتاريخ المنقول ولا يقصد أن يعطي قصة لتكون بديلة عن قصة كانت متناولة بين أيدي الناس، بل يهتم بنقل حقيقة الأحداث والقصص، لأنه وحي إلهي ومصون من أي زللٍ وخطأ. (الطباطبائي١٤١٧: ٣٨/٢)

القرآن الكريم يؤكد على أن هذا الحدث واقعي ولا يصنع أسطورة غير واقعية: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (الكهف:١٣) وأيضا يؤكد على أن الله كان شاهداً على كل هذه الأحداث وبيانها على أساس العلم لا القصص الخيالية والتمثيلية غير الحقيقية. ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ (الأعراف:٧)

٦-٢ تصحيح الأخبار التاريخية:

من التأثيرات التي أثّرها القرآن على التاريخ هي تصحيح الأخبار التاريخية التي كانت بين أيدي الناس من الأساطير الخيالية المزيفة وتضخيم انتصارات وهزائم القبائل والحكام أو الأخبار المشوّهة التي كانت تضمها كتب العهدين وتُنقل بين الناس. والقرآن إضافة على إيجاد التطور في نقل التاريخ، والاهتمام بنقاطه الإرشادية، وبغضّ النظر عن الجزئيات

أظهر التحريفات والأكاذيب التاريخية خاصة في مجال الأديان والأنبياء السابقين ونقل أخبارهم الصحيحة إلى الناس. قال العلامة الطباطبايي: من يقرأ العهدين ويتدبّر فيهما ثم يراجع القرآن للحصول على تاريخ الأنبياء وأممهم، سيفهم أن التواريخ والقصص القرآنية تختلف عن التواريخ والقصص الموجودة في العهدين. في العهدين تنسب إلى الأنبياء أخطاء وعثرات لا تقبلها الفطرة وحتي لا تقبل نسبتها إلى الصالحين؛ بينما القرآن يبرئ الأنبياء من هذه الاتهامات. (الطباطبائي،١٤١٧: ٦٤/١)

ان القرآن الكريم انتقد الفكر التاريخي لأهل الكتاب أو غيرهم واعتبرها أفكاراً باطلة، و طرح هذا النقد والتمحيص في مواضع عديدة من آياته الشريفة. عندما كان الناس مخطئين في قضية السعي بين الصفا والمروة واعتقدوا أنهما اسمان لرجل ومرأة مسخهما الله بسبب ارتكاب الفاحشة؛ أبطل الله عقائدهم هذه:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)

ان بعض المسيحيين كانوا يرون أن المسيح عيسى عليه السلام قد قُتِل والبعض الآخر كان يري أنه صُلِب. كانت هذه الآراء في العقائد التاريخية للنصارى؛ لكن الله تبارك وتعالي رفض كلتي العقيدتين واعتبر كلامهم واهيا لا أساس له ولا دليل، فقال: ((وَما قَتَلُوهُ يَقيناً)) اذن فالاعتقاد التاريخي يجب أن يستند إلى العلم ولا يكفي ولا يجزي فيه الاتكال على الظن. (الطباطبائي،١٤١٧:٥/١٣٢)

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٧- ١٥٨)

أيضا في سورة النساء يرفض القرآن هذا الاعتقاد التاريخي بأن يكون المسيح ابن الله ويبطل فكرة الثالوث التي كانت سائدة لدي المسيحيين:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء:١٧١)

وفي سورة التوبة يرفض زعم اليهود حول عزير وأيضا زعم النصارى حول المسيح واعتبر قولهم قولا إفكا لا دليل له:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة:٣٠)

٧- السنن الإلهية السائدة على التاريخ:

السنة في اللغة تعبّر عن معانٍ كثيرة، مثل: الطريقة، والنهج، القانون، والفريضة، وأحكام الله وأمره ونهيه، الشريعة، والعادة، والطبيعة، والوجه. (الراغب الأصفهاني، ١٣٩٢: ٤٢٩؛ ابن منظور، ١٤٠٥: ٣٩٩/٦؛ المصطفوي، ١٣٦٠:٢٣٧/٥) وهذه اللفظة في النصوص الإسلامية وفي مصطلحات علم الحديث تُطلَق على ما أثر عن النبي والأئمة المعصومين عليهم السلام من قول أو فعل أو تقرير يبين منهجهم، ومن جهة أخرى في الآيات والروايات تُطلَق على قسم من التدابير الإلهية التي تتكرّر وتستمّر عبر الزمن. (الرجبي، ١٣٨٨:٢٨) الآيات القرآنية تشير إلى أن التطورات التاريخية تخضع لسلسلة من القوانين والأساليب المحدّدة التي يعبّر الله عنها بالسنة ويعمل وفقها. في ثقافة الوحي، تُرفَض ((الصدفة)) وهي تعني إنكار قانون السببية مطلقاً أو الاعتقاد بالسببية غير المنطقية الغير قابلة للكشف. وقانون السببية جار في كل الكون والكائنات ولا تُستثني منها حياة المجتمع واتجاه التاريخ: ((أَبَى اللّهُ أَنْ يجْرِي الأُمُورَ اِلاّ بِأَسْبابِها)) (المجلسي، ١٤٠٣:٢/٩٠، ب١٤/ح١٤و ١٥)؟

١- ٧ نماذج من السنن الإلهية في القرآن الكريم:

نشير إشارة موجزة إلى نماذج من السنن الإلهية التي جاءت في القرآن الكريم:

الف) التحولات السلوكية والأخلاقية والداخلية للمجتمع تمهّد للتحولات الإيجابية أو السلبية في حياة ذلك المجتمع. لو لم ير الله الاستعداد اللازم في شعب ما، لا ينعم

عليهم بالنعم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)

ب) الظلم يؤدي إلى سقوط وانهيار الحضارات وهذا الموضوع قد طُرح في آيات عديدة: مثلا نقرأ في الآية ١٣ من سورة يونس: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وكذلك نقرأ في الآية ٥٩ من سورة القصص: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

ج) التمرد على تعليمات الأنبياء والكفر يورث الهلاك، والتاريخ الإنساني قد شهد هذا الأمر مراراً؛ و قد أشير بوضوح إلى هذه الحقيقة في الآيات القرآنية، مثلاً في الآيات ١٠٢ إلى ١٤١ من سورة الأعراف وكذلك الآيتين ٥٢و٥٤ من سورة الأنفال ذُكر سبب سقوط وهلاك قوم فرعون، وهو كفرهم وتكذيبهم بالآيات. وجاء في الآية ٩٦ من سورة الأعراف:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)).

د) إحدى السنن الإلهية الحاكمة على التحولات الاجتماعية والتاريخية هي طبقة المترفين وهم مع أعمالهم المفسدة يسوقون المجتمع نحو الإفساد ويوفّرون ظروف الهلاك والتدمير. جاء في الآية ١٦ من سورة الإسراء: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾.

هـ) سنة نصرة المؤمنين: والسنة الإلهية الأخرى هي نصرة ومساعدة المؤمنين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (روم: ٤٧)

٢- ٧ نقاط حول السنن الإلهية.

نقاط حول السنن الإلهية الحاكمة على التاريخ، في ثقافة القرآن:

الف) السنن التاريخية لا تجري إلا بعد الإنذار وبعثة النبيين وإبلاغ الرسالة بهدف توعية

المجتمع، ثم إذا ذلك المجتمع مع العلم بعاقبة عصيانه للأوامر الإلهية استمرّ في كفره فتنفذ فيه سنة الهلاك. وقيل في الآية ٥٩ من سورة القصص: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.

ب) تتحقق السنة الإلهية في نطاق محددة من الزمان والمكان والظروف الأخرى. والسنن الإلهية تجري في كل ديار ومجتمع وفق ((كتاب معلوم)) و((أجل مسمي)) و((موعد مقرر)).

قد جاء في الآيتين ٤و٥ من سورة الحجر: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾.

ج) هناك تفاعل بين الإنسان والقوانين الجارية في المجتمع والتاريخ وليس الإنسان محكوما على القوانين التاريخية بل هو من العوامل التي تصنع التاريخ.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ (٣ الإنسان)

هناك آيات عديدة تدل على تأثير عمل الإنسان في التاريخ؛ مثل: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾(التوبة:١٤)

السنن التاريخية هي نتيجة العمل ومتناسبة مع الحاجات الفطرية للبشر، ولا ينبغي أن نتصور هذه السنن قوانين غير معروفة جاءت من خارج نطاق الإنسان العملي ويدخل في حياته ويقرّر مصيره ومصير مجتمعه.(رشاد،١٣٦٨: ١٨/اردیبهشت/٦٨،ص٨؛ ٢٥/اردیبهشت/٦٨، ص١٠؛ ٨/خرداد/٦٨،ص ٨؛ ٢٩/خرداد/ ٦٨،ص١١)

د) السنن ثابتة لا تتخلف ولا تحويل عنها ولا تبديل. والله يقول في القرآن: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٤٣سوره فاطر) قال العلامة في تفسير الآية ٤٣ من سورة فاطر: تبديل السنة أن توضع العافية والنعمة موضع العذاب وتحويلها أن ينقل العذاب من قوم يستحقونه إلى غيرهم وسنة الله لا تقبل تبديلاً ولا تحويلاً لأنه تعالى على صراط مستقيما يقبل حكما تبعيضا واستثناء. (الطباطبائي،١٤١٧هـ: ٥٨/١٧).

هـ) العمومية والإطلاق: العمومية والشمول ايضا من ميزات السنن الإلهية.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ .(١٣٧آل عمران).

٨- النبوءات التاريخية في القرآن:

أحد الفروق الأساسية بين التاريخ القرآني والتاريخ النقلي هو أن الإخبار بالمستقبل في التاريخ الذي يكتبه الإنسان أمر مستحيل أو انه يكون على أساس الظن ويقتصر على الأحداث السابقة وقصص السابقين لكن القرآن كما أخبر بالماضي أنه أيضاً رسم المستقبل، هذا من الخدمات العظيمة التي قدّمها القرآن للتاريخ حيث أنه وعد أن اتجاه التاريخ مشرقٌ. أحد وجوه إعجاز القرآن يتمثّل في الأخبار التي أخبر بها من الأحداث الماضية والمستقبلة، وهذه التنبؤات حيث أنها تنتهل من مناهل الوحي والعلم الإلهي الأزلي لا يقع أي خطأ فيها. التحدي في القرآن الكريم يشمل كل وجوه الإعجاز ومن بينها اشتماله على الأخبار الغيبية من الماضي والمستقبل.

القرآن لا يكتفي إلى نقل الأخبار الصحيحة للتاريخ ونجاة الناس من المعتقدات الخاطئة حول الأحداث التاريخية بل بواسطة النبوءات التاريخية، يعرّف السنن والقوانين الحاكمة على المجتمع ويرسم مستقبل التاريخ ليثبّت ويمكن قلوب المؤمنين. مثل التنبؤ بانتصار المسلمين وفتح مكة في بداية سورة الفتح، وهزيمة الرومبين ثم انتصارهم في سورة الروم، وإفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين ثم هزيمتهم وهلاكهم في بداية سورة الإسراء، وتوسعة الإسلام وهزيمة الأعداء وفي النهاية تأسيس دولة الصالحين في الأرض وغيرها.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص:٥)

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (الغافر:٥١)

نتائج البحث:

إليك أهم ما وصل إليه هذا البحث:

- على أساس قانون السببية كل حركة تحتاج إلى محرك ليبعث الحركة ويعين اتجاهها ويضمن لها البقاء والدوام ويمنع من وقوفها.
- محرك التاريخ كعلة مؤثرة في الحركة، لو رأي انحرافاً في اتجاه الحركة بإمكانه أن بغير اتجاهها.
- في الرؤية القرآنية ليست للتاريخ حركة رجعية ليعود قهقرياً إلى الوراء، لأن القرآن يدعو الناس دائما إلى الحركة نحو الأمام ونحو الهدف الإلهي والتسابق إلى الخيرات اللامتناهية؛ وأيضا ليست للتاريخ حركة دورية تسقط حضارة بظهور حضارة أخرى كالحلقات الدائرية.
- مع التدبر في الأيات الإلهية وفي ضوء المعارف الوحيانية نصل إلى أن مشيئة الله وإرادته هما المحركان للتاريخ ومن حيث أن مشيئة الله تستوعب مشيئة الإنسان فليس الإنسان والمجتمع تحت السيطرة الجبرية بل بإمكانهم أن يغيروا التاريخ ومجراه.
- القرآن الكريم أحدث تطوراً عميقاً في أسلوب بيان التاريخ من جهة؛ و وسّع نطاق الفهم التاريخي من جهة أخرى. والقرآن الكريم طوّر المعايير والقيم السائدة في المجتمع وأرشد الناس إلى هدف متعالٍ وغير مسار التاريخ إلى الهدف الإلهي.
- القرآن الكريم كتاب يعتمد منهجاً واقعياً ولم يتحدّث أبداً عن حدثٍ بشكل خيالي؛ ووجود الميزات الأسطورية والنموذجية والرمزية والتمثيلية في القرآن لايعني نفي الواقعية. القرآن لا ينفي قص القصص لكن يصرّح ويؤكد على أن كل ما جاء في القرآن حقيقي.
- الآيات القرآنية تشير إلى أن التطورات التاريخية تخضع لسلسلة من القوانين والأساليب المحدّدة التي يعبّر الله عنها بالسنة؛ وللسنن الإلهية ميزات، منها: إنها لا تجري إلا بعد الإنذار، ولا تحويل عنها ولا تبديل، وقوعها حتمي وتحت ظروف

خاصة من الزمان والمكان، وأن أفراد المجتمع لهم دور مباشر في وقوعها، وأنها تعمّ جميع المجتمعات والأمم.

- القرآن الكريم كما أخبر بالماضي، فأنه إيضا رسم المستقبل.
- هذه بعض التأثيرات العظيمة التي اثّرها القرآن الكريم في التاريخ حيث أنه وعد أن اتجاه التاريخ مشرقٌ.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. ابن منظور، محمد بن مكرم،(١٤٠٥هـ) لسان العرب، قم، نشر أدب الحوزة.
٢. الأصفهاني، حمزه، (١٣٤٠هـ)، تاريخ سني ملوك الارض، برلين.
٣. البيروني، أبوريحان، (د.ت) آلآثار الباقية عن القرون الخالية، بإعداد ادوارد زاخاو، لايپزيك.
٤. الجعفري، محمدتقي(١٣٧٨ش)، تاريخ از ديدگاه امام على، طهران، نشر پيام آزادي.
٥. جوادعلي، (١٤١٣هـ)، المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام، قم، انتشارات الشريف الرضي.(المكتبة الرقمية لجامعة الزهراء)
٦. جمشيديان، سجاد،(١٣٩٠ش)، مقالة اسلام و فلسفه تاريخ، كتاب ماه تاريخ و جغرافيا، العدد١٦١.
٧. الجواليقي، ابومنصور (د.ت) المعرب، بإعداد ادوارد زاخاو، لايپزيك.
٨. الجوهري، إسماعيل بن حماد،(١٤٠٧هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، بيروت، دارالعلم للملايين، ط٤.
٩. دانش كيا، محمدحسين(١٣٩٦ش)، نقش خدا در تاريخ از منظر قرآن كريم، نشرة قبسات، خريف السنة الثانية والعشرون.
١٠. الذهبي، محمدبن احمد، (١٤٠٩هـ) تاريخ الإسلام و وفيات المشاهير و الأعلام محقق: التدمري، عمر عبدالسلام، بيروت – لبنان، دار الكتاب العربي.
١١. الراغب الأصفهاني، حسين، (١٣٩٢هـ)، معجم مفردات القرآن، مطبعة التقدم العربي، بيروت.
١٢. رجبي، محمود،(١٣٨٨ش)قانون مندي جامعه و تاريخ؛ (مباني فلسفه تاريخ در قرآن)، المجلة الفصلية تاريخ در آينه پژوهش، العدد٢، ٢٨/٨/١٣٨٨.
١٣. رشاد، علي اكبر؛(١٣٦٨) سنن حاكم بر جامعه و تاريخ از نظرگاه قرآن، جريده جمهوري اسلامي، ١٨/ارديبهشت، ص٨؛ ٢٥/ارديبهشت/٦٨، ص١٠؛ ٨/خرداد/٦٨، ص٨؛ ٢٩/خرداد/٦٨،ص١١.

١٤. زرين كوب، عبدالحسين، (١٣٦٢ش) تاريخ در ترازو، أمير كبير، طهران، الطبعة الثانية.
١٥. السخاوي، شمس‌الدين محمد،(د.ت)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم اهل التاريخ، ترجمة صالح احمد العلي، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٦. الشريف الرضي، محمد بن حسين،(١٤١٤ ق) نهج البلاغة (للصبحي صالح)، المصحح: صالح، صبحي، قم، نشر دارالهجرة.
١٧. الصولي، أبي‌بكر محمد بن يحيي،(بي‌تا)، ادب الكتاب، تحقيق محمد بهجه اثري، باشراف السيد محمود شكري الآلوسي، بيروت، دار الكتب العلميه.
١٨. الطباطبائي، محمدحسين (١٤١٧ هـ) الميزان فى تفسير القرآن، قم، مكتب انتشارات اسلامي جمعية مدرسي حوزة قم العلمية. الطبعة الخامسة.
١٩. العاملي، سيد جعفر مرتضي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ط جديده)، إيران، قم: مؤسسه علمي فرهنگ‌ي دار الحديث.
٢٠. الكلباسي الأشتري حسين،(١٣٨٥) درباره فلسفه تاريخ، فلسفه مضاف، بإعداد عبدالحسين خسروپناه، طهران، پژوهشگاه فرهنگ و انديشه اسلامي.
٢١. الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق(١٤٠٧ ق) الكافي؛ المحقق و المصحح: الغفاري على اكبر و الآخوندي، محمد؛ طهران: دار الكتب الإسلامية. الطبعة الرابعة.
٢٢. الكليني، محمد بن يعقوب، (١٣٨٨ش)، تحفة الأولياء (ترجمه أصول كافى)، ٤ج، قم، دار الحديث.
٢٣. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي(١٤٠٣هـ)؛ بحار الأنوار(ط- بيروت)، المصحح: جمع من الباحثين؛ بيروت؛ نشر دار إحياء التراث العربي؛ الطبعة الثانية.
٢٤. مصباح اليزدي، محمدتقي،(١٣٦٨ش)، آموزش فلسفه، الطبعة الثالثة، طهران: سازمان تبليغات.
٢٥. مصباح اليزدي، محمدتقي، (١٣٧٢ش)، جامعه و تاريخ در قرآن، چاپ دوم، طهران: سازمان تبليغات.
٢٦. المصطفوي، حسن، (١٣٦٠ش)، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران: بنگاه ترجمه و نشر كتاب.
٢٧. المطهري، مرتضي، (١٣٧٤ش)، مجموعه آثار، الطبعة الثالثة، طهران: صدرا وطبعة(١٣٨٣ش).
٢٨. المطهري، مرتضي،(١٣٦٩ش)، فلسفه تاريخ، طهران: صدرا.
٢٩. المطهري، مرتضي،(١٣٨٧ش)، جامعه و تاريخ، طهران: صدرا، الطبعة السابعة عشرة.
٣٠. المفتخري حسين،(١٣٨٧ش)، پارادايم‌هاي روش‌شناختي موثر بر پژوهش‌هاي تاريخي، كتاب ماه تاريخ و جغرافيا، العدد ١٢٢.
٣١. وفا، جعفر(١٣٨٢ش)، تاريخ از ديدگاه قرآن و نهج البلاغه، طهران: نشر سپاه پاسداران انقلاب اسلامي.